بن لحمر اسامة
قصيرة

إهداء

اهداء الى كل القصيرات ، إهداء الى كل الأيادي التي لا تستطيع حمل عشر حبات حلوى ، إهداء الى طويلي القامة ، إهداء الى أصحاب اللايكات الزرقاء ، إهداء من أعماق قلبي الى كل من قرأ هذه القصة بتمعن و إنفعل مع كل المشاهد الحزينة منها و السعيدة ، إهداء الى المتزوجين ، ربما هذه القصة ستحرك فيكم مشاعركم المدفونة منذ أزل ، رفقا بقواريركم و رفقا يا حواء بذلك الرجل الذي إن تحتم الأمر أن ينزع جبلا ينزعه من أجلك .

قصيرة

رأيتها في طابور المخبزة تقف على رؤوس أصابعها في محاولة منها للوصول الى البائع قالت بصوت واضح:

- هاي يا بائع الخبز لماذا لم تقل للبناء الذي قام ببناء هذا الجسربأن يفكر قليلا بأمرنا؟

- قال البائع مستهزئا :أعتذر منكِ يا آنسة سأقوم ببناء درج خاص بكِ.

سحبت الكيس و زفرت بقوة وخرجت ,كنت خلفها أراقب بصمت حاولت كتمان ضحكتي لكنها خرجت بدون سابق إنذار أدارت نحوي و نظرت الي بملامحها الطفولية المرعبةو قالت :

- مجانين.

حملت كيسها و خرجت من المحل و قدماها تضربان الأرضية بقوة ، ، أخذت طلبيتي ، و خرجت أنا بدوري الى محل المواد الغذائية المقابل للمخبزة ، شاء القدر أن صادفتها مجددا تحاول سحب كيس السكر من الدرج ، راحت تمد ذراعها الصغيرة و تتكئ على أصابع قدميها و تقول :

- أنا أستطيع ، نعم سأفعلها أنا طويلة.

-

إقتربت منها بحذر و قلت :

- هل تحتاجين مساعدة يا آنسة طويلة ؟

قالت بإبتسامة شريرة :

- ماذا تراني أفعل يا قصير ؟

قلت :

- رأيتك تحاولين الوصول لكيس السكر..

قالت متجاهلة :

- أظن أنك تريد شراء شيء ما ، المحل كبير ماشاء الله ، أمم هل تبحث عن الحليب ، إذهب الى الزاوية الأخرى ستجده هناك موضوع في صندوق و إذا كنت لا تعرف ماهو الصندوق إسأل البائع و لا تحشر أنفك في شؤون الناس مجددا

أدرت متعجباو ماهي الا لحظات حتى سقط على رأسها علبة طماطم راحت تتحسس رأسها و قالت :

- يا بائع لم تقل لي أن الطماطم تكرهني لهذه الدرجة ؟

خرجت من المحل ضاحكا مستمتعا بما حدث لها للتو ، قصيرة لكن لسانها طويل, مرت الأيام كنت جالسا في المحل الخاص بي فأنا تاجر أحذية نسائية ، دخلت للمحل فتاة كنت منهمكا بترتيب الرفوف و وضع الأحذية الجديدة فطرحت السلام ، بدا لي و أنني أعرف هذا الصوت ، أدرت لها و قلت :

- مرحبا بكِ

تمتمت بشفتيها و كأنها تقول يا نهار أسود !، لاح شبح الإبتسامة على شفتاي... ، وقعتي في الفخ يا قصيرة

- قلت :أحم تفضلي يا آنسة
- قالت :أحم بكم هذا ؟
- قلت :بألفي دينار
- قالت :ماذا ألفي دينار و هل عندما ألبسه يمشي نيابةً عني ؟

ضحكت و قلت :

- كم مقاسك يا قصيرة احم أقصد يا آنسة؟

- قالت :لا يهم مقاس قدمي أحضر لي كل ماعندك و أنا سأجرب و الذي يناسبني سأشتريه.

أحضرت لها أقل مقاس 34 و قلت :

- تفضلي أظن أن هذا يناسبك.

إرتدته و و قفت تنظر الى قدمها أمام المرآة, إنفجرت ضاحكا أدارت الي و قالت بوجه عابس :

- لماذا تضحك يا هذا؟

- قلت :لا شيء لاشيء مجرد موقف تذكرته

و قلت في نفسيكيفتستطيع الحفاظ على توازنها و هي تتكئ على هذه القدم الصغيرة ؟
: اشترت الحذاء و خرجت من باب المحل و قالت

- لئيم..

راقبتها و هي تمشي بخطوات سريعة مبتعدة عن المحل و أنا ألاحظ أنوثتها الطاغية ، و أقول في نفسي لو تعلمي يا قصيرة كم زادك طولك جمالا....

في المساء و أثناء عودتي الى المنزل اكتشفت أن تلك المجنونة الصغيرة تسكن بالقرب من منزلنا يفصل بين منزلي و منزلها شارع واحد، رأيتها تصعد درج العمارة و تحدث جلبة بقدميها الصغيرتين ، إكتشفت أيضا أنها وحيدة أمها و أبيها لهذا هي كثيرة الحركة ، فُتنت بجمالها و ملامحها البريئة المرعبة ، لا أدري إن كان حب أو مجرد إعجاب عابر ، لا علينا المهم أنني وضعتها صوب عيناي ، فملامحها الصغيرة و حركاتها الطفولية تجعلني أضحك بهيستيريا ، ليس تنمرا و إنما إطراء لهذه الزهرة ...

لازلت أتذكر ذلك الموقف ، دخلت لمحل كشك متعدد الخدمات إشترت بعض الحلويات و قال لها البائع بأنه لا يملك كيسا ، أولا لسانها الحاد لم يمنعها من تحطيم كبرياء هذا التاجر المتغطرس ، خرجت تحمل الحلويات في يديها الصغيرتين ، تتمشى بحذر شديد لأنها إذا أسقطت قطعة سيتحتم عليها وضع باقي القطع في الأرض و جمعها مجددا و هذا الأمر مزعج بالنسبة لحجمها

رحت أتمشى خلفها مدعيا أنني شارد الذهن لكنني أنتظر اللحظة التي ستسقط فيها قطع الحلوى ، و ستنفجر رئتاي ضحكا ، لأنني أريد بشدة هذه المرة أن تطلب مساعدتي ، و أخيرا تعثرت قدمها و اختل توازنها و سقطت منها قطع الحلوى الواحدة تلوى الأخرى
تزعزعت حنجرتي ضحكا ، نزلت هي أرضا وراحت تجمع قطع الحلوى و هي تحدث نفسها قائلة

- ماذا يحدث معكِ يا ايمان ؟ لماذا دائما ما يكون حظُك أسودا؟ ما لون هذا الغراب الذي يتمشى خلفي ؟

تصلبت أمعائي و إبتسمت خجلا ، الشقية كانت تعلم أنني أمشي خلفها ، بل من الدقيقة التي خرجت فيها من المحل ، إستجمعت أنفاسي و ادعيت الصرامة ، لأنني أريد تجنب لسانها الذي لا يملك فرامل ، نزلت أمامها و رحت أجمع معها قطع الحلوى و أنا أشاهد جمال عينيها و لون شعرها البني الأملس ، باغتتني قائلة :

- انا لا أقوم بجمعها

سألتها قائلا :

- هاه و ماذا تفعلين إذا ؟

رفعت شفتيها و عقدت عينيها و قالت بصوت رقيق

- أنا أزرعها ، ألم تعلم بأن الحلوى أصبحت مثمرة؟

كتمت ضحكتي و كأنني لا أبالي بتفاهتها و قلت:

- أمم لمن كل هذه الحلوى يا آنسة ؟

- ،قالت :لقد أخبرتك بأنني أريد زرعها

- قلت عاقدا عيناي ، كفي عن المزاح ، لماذا لم يعطيك البائع كيسا

- قالت :إسأل نفسك أظن أنك أنت من أخبره بأن لا يعطيني كيسا أجمع فيه كل هذه الحلوى يا طويل القامة

إنفجرت ضاحكا و قد جمعت كل الحلوى في كفتي يداي و قلت :

- هل تعرفيين المثل الذي يقول أنت قصير ...مسمار كبير...

- قالت :هاه شكرا لك سأدونه في دفتر كتاباتي

فتحت يداها و قالت :

- و الآن ضع الحلوى و تنحى عن طريقي يا طويل

إبتسمت لمروءتها و أنوثتها لأنها لم تنظر لوجهي ، و هذا ما جذبني اليها أكثر ، أخذت الحلوى و انطلقت تمشي بسرعة مجددا ، استوقفتها و قلت :

- ! تشرفت بمعرفتك يا ايمان

نظرت الي بحزم و قالت:

- أنت مخطىء ملايين من الفتيات يحملون اسم ايمان يا طويل

ابتعدت عن طريقها و راحت تسيير نحو حيها ، أخذني الفضول بأن أتبِعُها أريد أن أعرف ماذا تريد أن تفعل بكل هذه القطع من الحلوى ، وقفت أمام عمارتها و راحت تنادي على الأطفال الصغار شكلو حلقة حولها و راحت توزع عليهم قطع الحلوى و تداعبهم ، لأول مرة أرى إبتسامة هذه الشقية الصغيرة

أسندت ظهري على حائط العمارة و جلست أشاهد كمية اللطافة التي تتمتع بها هذه المجنونة ، أحسست أن قلبي سيخرج من مكانه ، لم يكن إعجابا أو حبا ، بل عشقا ، لم يسبق لي أن مررت به من قبل ، أو ربما هي <<هدية أرسلها الله لي في هيئة فتاة بعض الهدايا تكون عبارة عن أشخاص>> ، يدهشوننا برقتهم و عفويتهم حتى و لو كانوا مجانين

بعد لحظات أطلت من الشرفة والدتها نادت عليها بصوت مرتعش و كأن شيء ما وقع في المنزل ، إنطلقت مجنونتي الصغيرة تصعد الدرج و أنفاسها كادت أن تنقطع ، جلست أفكر و أفكر ، أنتظر خروجها مجددا لأراها و لو لثانية فقط ..لكن هيهات

عدت الى منزلي بعد يوم حافل من العمل الشاق أسندت رأسي على الوسادة و غصت في نوم عميق

إستيقظت صباحا على المنبه ، إرتديت أجمل ما عندي، حلقت ذقني ، وضعت عطري المفضل في كل شبر من ملابسي ، وخرجت متعطشا

ليوم جديد ، منذ دخول هذه الصغيرة الى عالمي ، أحسست كأنه نتج لون جدبد أُضيف لحياتي ، قررت أنني سأتحدث معها ، و انني اريدها زوجة لي و يجب ذلك ، لأنني لم أتصادف بمثلها في حياتي ، تجاوزت كل العروض التي قُدمت لي أصبحت أراها الا هي ....
جلست في المحل الخاص بي و رحت أنسج الكلام الذي أريد أن أُلقيه على مسمعها ، بالرغم من أنني أعلم أنها آلة في خلق التفاهة لكنني كنت مصرا ، لا يهمني ما سأسمعه منها ، لأنني في النهاية سأقنعها بالزواجبي

اليوم الأول لم تظهر ، الثاني لم تظهر ، الثالث ، الرابع ، يا ترى أين ذهبت أصابني الإحباط و الخوف أحسست أن مكروها قد أصابها و انا لا أعلم ، ! خرجت أمام باب المحل ، لمحتها تتمشى على غير عادتها مطأطئة رأسها يبدو عليها التعب و الإرهاق ، رق قلبي لحالها فقد أعتدت عليها تسرع في مشيتها و تكلم حالها و عيناها تُشع نشاطا ، إستجمعت أنفاسي و قررت أنني سأتحدث معها ، رحت ألحق بها و أنا أردد ذات الكلام الذي حفظته منذ قليل ، تقدمت أمامها و قلت :

- صباح الخير يا آنسة

أجابت بصعوبة:

- صباح النور يا ميستر طويل
إبتسمت و قلت :

- ! مالي أراكِ ذابلة اليوم يا زهرتي ، أحم عفوا ، أقصد تبدين متعبة

- قالت :نسيت أن أشحن بطارية نشاطي البارحة هذا هو السبب

- قلت :أمم آنسة هل لي بدقيقة من وقتك أريد أن أحدثك عن أمر مهم

- قالت :هل هو مهم أكثر من الطابور الطويل الذي سأقف فيه الآن ، في مركز البريد

أربكتني الشقية مجددا و لكنني حافظت على هدوئي و قلت:

- مهم أكثر من محلي الذي تركته و أتيت اليكِ
عقدت ذراعيها و قالت :حسنا تفضل يا طويل قل ماعندك ، قلت:

- إكتشفت أنك سندريلا ، احم أقصد أنك تشبهينها

- ! قالت :هاه كيف ذلك

- قلت :يوم قدمت لكِ الحذاء و قمت أنتِ بإرتدائه و قد أعطيتك مقاس قدمك بالضبط لم لكن أعلم أنه سيناسبكِ ، فقد فكرت بالموضوع و قلت أنه لم يكن مجرد صدفة

- صمتت برهة و قالت :سندريلا كانت مجرد خادمة في بيت و الشخص الذي قدم لها الحذاء كان أمير ، و أنا لست خادمة و أنت لست أمير أين وجه التشابه في القصة

- كتمت غيضي للمرة الأربعون و قلت :هل من الممكن ان تكوني جدية و لو للحظة

- قالت :حسنا أعتذر تكلم

- قلت :أنا ...أنا

- قالت :هل أنت جائع ، أم مريض ، عيناك حمراوان هل ذهبت للطبيب

- وضعت يدي على وجهي و قلت :يا الاهي أنتِ تقطعين الكلام أكثر من محرك ڤوڤل ، أنا معجب بك يا مجنونة و أريد أن أتقدم لخطبتك على سنة الله و رسوله

- ، صمتت برهة و قالت :ماذا بعد

- ! قلت :نتزوج

- قالت :و ماذا بعد ، قلت :نكوِن أسرة
- قالت :و ماذا بعد

- قلت :ثم أقطع شراييني و أنتحر ، لماذا تسألين هذه الأسئلة

- قالت :كيف لمِعت في رأسك فكرة الزواج مني

- قلت :لأنني أعجبت بكِ الا تفهمين ؟

- قالت :لكنك لم تعرفني بعد أنا لست تلك الفتاة التي في عقلك

- قلت :يكفي أنك دخلتي قلبي دون إذن

- قالت :من أين لك كل هذه الحكمة يا طويل ؟

- قلت :الحب جعل من المجانين شعراءً

- قالت :و هل أنت شاعر

- قلت :أنا المجنون الذي أصبح شاعراً

شبكت أصابعها و راحت تنظر للأرض ، لأول مرة أراها خجولة بقيت أنتظر ردا منها ثم قلت:

- هل توافقين ؟
- نظرت الي بخجل و قالت :لا أدري و انطلقت تمشي بل تجري

غمرتني سعادة كبيرة ، لأن الضجيج الذي كان يسري في قلبي لأيام قد فرِغت منه للتو ، ثم أن جوابها أحسسني بنوع من الأمان ، إجابتها تدل على أنها موافقة ، صحيح !لا أدري هذه المجنونة من العجائب التي تصادفها مرة واحدة في
حياتك
عدت الى متجري أطير فرحا ، شفتاي لم تتوقفا عن الإبتسام لكل عابر أمامي ، دخل علي صديقي تاجر في المحل المقابل ، و قال: :

- ! ما لي أراك مبتهجا على غير عادتك يا صاح

قلت محاولا إخفاء سعادتي لأنني لا أريد أن يشاركني أحد هذه اللحظات التي راح قلبي يرقص من شدة حلاوتها:

- لا شيء يا صديقي قرأت كتابا كانت نهايته سعيدة فقط

- قال :اممم ، لم تُأثر فيك الروايات هكذا من قبل ، أم أن هناك عيون لامست قلبك ، أنا أعرفك جيدا يا صديقي

أشحت نظري محاولا تشتيت تركيزه معي و قلت:

- ، شعيب لقد دخل الزبائن الى محلك

- نظر الي و قال :سأعود اليك يا صديقي

من بين الأمور التي يجب عليك كتمانها و لن يسمع عنها أو يراها أحد هي حياتك العاطفية أكيد ستقولون لي عن أي حياة تتحدث و انت لم تتأكد بعد أنها موافقة ، لكن قلبي يخبرني أن تلك الشقية ستوافق و أكون أسعد الناس ...

مر يوم ثم يوم آخر و لم تظهر صغيرتي ، هل إختفت مجددا !أم أنها متعبة ، هممم هل أزورها في بيتها و أتحدث مع أهلها ؟ و لما لا ربما هي

موافقة و خجِلت أن تقول لي ، أو أنها تنتظرني لأتحدث مع والديها ، حسنا
سأذهب مساءً
عدت الى منزلي بسرعة البرق غيرت ملابسي ، اشتريت باقة ورود تليق بجمال قصيرتي و قالب حلوى من نوع خاص أعلم أنها تحب الشكولاتة كثيرا ، يقولون أن الشكولاتة تحسن الحالة المزاجية للنساء الى الأفضل و تحميهن من الإكتئاب ، لهذا هي كثيرة الحركة و عيناها تُشعان فرحا ، لكن لا أظن أن هذا التأثير ناتج عنها ، هي في الأصل مجنونة و المجانين .... يعيشون سعداء ، و لا تخبروا زهرتي بهذا و الا لن توافق

حملت قالب الحلوى في يد و باقة الورود في اليد الأخرى و رحت متوجها نحو عمارتها ، رفعت رأسي نحو الطابق الذي تسكن فيه و قلت :إنها فرصتك يا زيْد ، استجمعت أنفاسي ، و رحت أصعد الدرج الى أن وقفت أمام باب منزلها ، كمية الأدرينالين التي تدفقت في أرجاء جسمي في تلك اللحظة كانت تعادل صحن الشخشوخة الذي تناولته في عرس جاري ...
دقدقت ثلاث دقات على الباب و عدت بخطوتين الى الخلف ، استقمت في وقوفي ، بعد لحظات فتح الباب ، كانت والدتها

- استرسلت قائلة :نعم بني تفضل ؟

- قلت :مرحبا يا خالة ، هل زوجك موجود ؟

- قالت :نعم لحظة لأناديه

وقفت أمام الباب و قلبي يدق بسرعة جنونية ، بعد لحظات خرج الي رجل خمسيني ، بشعيرات بيضاء تبدو على ملامحه الطيبة ، صافحني قائلا :

- مرحبا بك يا إبني ، تفضل معي

دخلت معه الى المنزل ، ثم الى غرفة المعيشة جلست على الأريكة أمامه ، إسترسل يسأل عن حالي و حال أهلي ، قبل أن ندخل في صلب الموضوع تحدثنا عن مواضيع مختلفة ، رياضة ، سياسة ....الخ

ثم باغتني بسؤال قائلا :هل جئت لطلب يد إبنتي ايمان ، ابتسمت في وجهه و قلت

- إبنتك خطفت قلبي يا عمي ، لم أتردد لحظة لطلب يدها على سنة الله و رسوله ، ثم إنني ...

ثم قطع كلامي قائلا :

- : أنت تعلم يا بني بأن الزواج نصيب ، شخصت عيناي و قلت
-
- أكيد يا عمي لكل شخص نصيب ، و أنا أريد أن تكون ايمان نصيبي و رفيقة دربي في هذه الحياة
-
- دخلت والدتها و جلست بجانبي و قالت :أحيانا نبتلى بما تهواه قلوبنا و لكنه لا يكون من نصيبنا يا ابني، تغيرت ملامح وجهي و اختلطت المشاعر في نفسي جبيني راح يتصبب عرقا ، استرسلت قائلا ، ممكن توضيح يا خالة ، انا لا أفهم ماذا تقصدين ؟ .

وضع والدها يده على يدي و قال :يأسفني أن أبلغك يا بني ، بأن إبنتي مريضة ...

- قلت :مريضة بماذا أخبرني يا عمي ، ماذا هناك ، أستطيع تحمل أي شيء من اجلها .

قال و قد تبلورت حبيبات الدموع في مقلتيه :السرطان يا بني ، السرطان أحسست و كأن جبل وقع على رأسي للتو ، تلعثم لساني حتى أنني لم أستطع التحدث ، ثم : قلت

- لا لا ، أنتما تكذبان علي ، أنا أحبها لا يمكن أن يقف اي حاجز بيني و بينها
-

حولت نظري الى والدتها و قلت :يا خالة اسأليها أكيد هي كذلك تحبني ،

- قالت والدتها بدموع ساخنة ، ثم ابتسمت ألما :أجل يا طويل القامة هي تحبك ، و دائما ما تحدثني عنك ، قلت محاولا تهدئة نفسي أولا قبل تهدئة والديها :أنا لا يهمني المرض بقدر ماتهمني هي ، أستطيع التكفل بعلاجها ، لن أسمح لهذا الشرير بأن يقطف زهرتي ، سمعت دقات قدميها الصغيرتين ، تتقدم نحو غرفة المعيشة تتكئ على الحائط بعيون ذابلة تسيل دموعا و قالت بصوت مرتعش :آسفة يا طويل القامة على دخولي لقلبك ، لم أكن أريد هذا ، لكن هذه السنة الله في خلقه ، ربما ستصادف مجنونة أخرى تسكن روحك لا قلبك ، لم يبقى لي الكثير و أغادر هذه الحياة ، ارتعشت فرائسي ، تجمعت حبيبات الدموع في عيناي ، وقلت

- لن أسمح بهذا يا قصيرة أبدا ، إصطنعت الإبتسامة رغم كل ما ألم بي و قلت :أنت زهرتي ، من يلقي علي تفاهته بغيابك أنت لا تقولي هذا سنحارب هذا المرض معا و سننتصر عليه أكيد ، فقط قولي أنا موافقة

نظرت الى والديها و مسحت الدموع من عينيها و ابتسمت تلك ، الابتسامة البريئة و قالت بصوت مرتعش ، أنا موافقة

نظرت الى صغيرتي نظرة طويلة ، أريد أن أحفظ ملامحها ، رغم أن حالتها مزقت قلبي ، لكنني في الحال قمت ببرمجة عقلي على أنني مستعد لخوض معركة كبيرة ضد هذا الخبيث ، من أجلها هي فقط ، لا يهمني ما سألاقيه في هذا الطريق ، خاطبت والدها و والدتها قائلا :

- عمي ، خالتي ، الأسبوع القادم سأعقد قراني مع ايمان ، لا أريد التأجيل ، سأكون أنا سندها الأول بعد الله في هذا الإبتلاء ، ثم قلت : أعلم يا ايمان كم أن هذا المرض مرهق و متعب بالنسبة لكِ لكن أرجوا منكِ أن تحاربيه بأقسى قوة من أجلي و من أجل والديك ، أجابت

بإبتسامة قهر و حزن ، تمنيت في تلك اللحظة لو كان السرطان وحشا و ظهر لي لصرعته و أنهيت معاناة صغيرتي

خرجت من المنزل سمعت آذان العصر ، ذهبت مباشرة الى المسجد صليت ثم رفعت يداي عاليا أتضرع الى الله قائلا :اللهم لا تحرمني منها و لا ترهقني بفقدانها ، اللهم إنها قطعة من روحي ، و قد وضعتها صوب عيناي اللهم أعِني عليها و أعِنها علي ، و نجها من هذا الكرب و أسعدني بها ....

عدت الى المنزل طريح الفراش ، ذهبت الى غرفة المعيشة اين كان والدي يتناول القهوة و يشاهد التلفاز أخبرته بشأن صغيرتي و ماذا ألم بها ، جائت والدتي أيضا و رحنا نتناقش أمور الخطبة ، في بادئ الأمر لم تقتنع والدتي بشأن مرض

قصيرتي ، قالت بأنها سترهقني و احتمال أنها لن تعيش لفترة طويلة ، كلامها ازعجني جدا ، لكنني سرعان ما غيرت مفهومها قائلا :

- أمي المرض عندما يصيب شخصا ما لا يعني أنه سيموت ، الموت حق علينا جميعا ، هو ليس مقترنا بمرض معين ، اليس منا من يموت في حادث مرور ، أو يموت بسكة قلبية او او ...و الأمثلة كثيرة ، صغيرتي ستحارب و ستتجاوز هذه المرحلة منتصرة قد سلمت أمرها لله ، و لن يخيب من وضع قدره بيده ...

مر ذلك الأسبوع بسرعة حتى وجدت نفسي أرتدي بذلتي الأنيقة ، ذهبت أنا و والداي و معي صديقي شعيب الى منزل صغيرتي ، إستقبلني والدها و معه عمها ، جلسنا في غرفة المعيشة نتبادل أطراف الحديث ريثما يصل الإمام ، اه لم أخبركم إشتريت لقصيرتي خاتم خطوبة ، كانت رحلة شاقة للوصول الى مقاس إصبعها الصغير ، لكنني إخترته بعناية فهو أول خطوة للفوز بقلبها

بعد لحظات دخل إمام الحي ، و راح يلقي على مسمعنا خطبة القران ،ثم جلس أبي في اليمين و والد قصيرتي على اليسار و راح الأمام يلقي

عليهما ما يقولانه لكي يكتمل قِراننا ، ثم رفعنا أيدينا و راح الإمام يدعوا لنا
و أنا كنت أطير فرحا أنتظر اللحظة التي أضع فيها الخاتم في إصبع ... صغيرتي ، و أفكر يا ترى هل سيناسبها ؟ أكيد فهي جميلة جدا ، هاه هو خاتم فقط يا أهبل ، أعتذر تحمست زيادة عن
اللزوم ، انطلقت الزغاريد في أرجاء المنزل ، أشارت الي والدتي دخلت على قصيرتي وجدتها واقفة تنتظر قدومي ترتدي فستان بلون ذهبي مرصع بحجيرات لؤلؤية كل شيء كان فيها جميلا بدت لي كأنها أميرة تنتظر أميرها ، وقفت أمامها مبتسما غير مبالٍ بما يجري حولنا ، فتحت والدتي علبة الخاتم ، سحبته بلطف و وضعته على إصبعها ، سقطت دموع ساخنة من عينيها الجميلتين ، ظن الجميع أنها بكت بسبب فرحة الخطوبة ، لكن أنا و والدتها فقط من كنا نعلم السبب الحقيقي وراء هذه الدموع ، تعالت أصوات الزغاريد ، استغليت الفرصة و تقدمت الى أذنها و قلت من أعماق قلبي :أحبك يا صغيرتي

لاشيء سيمنعني من رؤية قصيرتي بعد خطوبتنا و عقد قراننا ، ثم إنها تسكن في الحي المقابل لحينا ، كان أول شيء أقدمنا عليه هو أنها سلمتني رقم هاتفها لأكون أقرب منها ، كنت أتصل بها بين الفينة و الأخرى ، لأطمئن على صحتها

- الو صغيرتي كيف حالكِ
- أنا بخير مادمت معي يا
- قولي و لما الخجل الست زوجك
- قالت :حسنا أنا بخير مادمت معي يا حبيبي
- أجبت :يا إلاهي لو تعلمين كم أثر هذه الكلمة مريح على قلبي
- قالت :أمم ، هل أعجبتك تسريحة شعري ...
- قلت :و هل هناك أجمل من صغيرتي
- قالت :لقد أصبحت رومانسي أكثر من المعتاد يا طويلي
- قلت :الرومانسية الأكبر هي يوم زفافنا ، تعثرت قليلا في الكلام ثم أجابت بيأس :إن شاء الله يا من دخلت قلبه دون إذن

أغلقت الهاتف ، و أكملت عملي ككل يوم ، و عدت الى منزلي متعبا ، في منتصف الليل ، إستقبلت رسالة من زهرتي تقول فيها :لازلت

أتذكر ملامحك و أنت تنظر الي في حادثة حبات الحلوى ، قد تركت في قلبي أثرا كبيرا يا طويل ، لم أستطع النوم في تلك الليلة ، كان الأمر يرهقني عندما علمت بأنني مصابة بالسرطان خشيت أنك لن تهتم لحالي إن علمت ...

إتصلت بها ردت بصمت تنتظر ما سأقوله:

- ما رأيت أجمل منكِ ، لذا أطردي من رأسك تلك الفكرة ، سبق و قلت لكِ أنني سأحارب معكِ لآخر رمق ، يكفي أنني دعوت ربي لكي يجعلكِ أميرة في بيتي و سجينة في قلبي ...و هذا ما سيحدث إن شاء الله

ثم بيقنا نتبادل أطراف الحديث و نمازح بعضنا و قصيرتي تطرح علي أسألتها العجيبة ، بالرغم من أنها كانت في تلك اللحظة تتألم ، أحسست أنني أطفأت القليل من الوجع الذي كان ينخر جسمها الصغير قلت:

- أريد أن ألتقي بكِ غدا ، لدي هدية لكِ أتمنى أن تنال إعجابك
- قالت :حسنا يا ...احم يا حبيبي

في صباح اليوم الموالي إتصلت بها إنتظرتها في المحل الخاص بي ، بعد لحظات دخلت علي ترتدي حجابا أزرق ، سماوي فضفاضا ، و على رأسها خمار أبيض

- قالت :مرحبا يا طويل

اندهشت و ارتفعت ذراعاي رغما عني ، و ضحكت بهستيريا ، نظرت الي و عقدت عيناها و قالت:

- لماذا تضحك يا مجنون

راحت تستعرض علي أناقتها التي خطفت قلبي و تقول ما رأيك في لون الحجاب امم ماذا لو كان رماديا ، لا لا بل بني ، لا يهم المهم انني أصبحت متحجبة ، بالفعل صدق من قال أن الحجاب يزيد المرأة أنوثةً و جمالاً ، قصيرتي جميلة لكن بعد ارتدائها للحجاب أصبحت أراها ماسة في هيئة فتاة ، ذهبت الى آخر المحل و سحبت كيسا و توجهت به نحوها و قلت :

- هل قرأتِ أفكاري ؟
- قالت :لماذا ؟
- قلت :أحضرت لكِ هذا الخمار ، بغية تشجيعك على إرتداء الحجاب
قالت :لقد إخترقت عقلك يا طويل و أعلم أنك كنت تريدني أن أتحجب و راحت تدور حول نفسها و تضحك و تقول :لن ترى قدمي الصغيرة ، مجددا
- ثم قالت :أنا ذاهبة الآن
- قلت :الى أين قد وصلتِ للتو ؟
- قالت :موعدي عند الطبيبة بعد نصف ساعة
- قلت :حسنا سنذهب معاً
- قالت : لا يا عزيزي لا تقلق ، الطبيب ليس بعيد عن هنا
- خرجت من المحل و قلت :هيا لنذهب معا ، أغلقت الباب و أمسكتها من يدها الصغيرة و قلت :هيا ، إبتهجت أساريرها و انطلقنا نتمشى كالأطفال
- قصيرتي :لا تسرع يا طويل القامة ، خطواتك أكبر من خطواتي

وصلنا انا و قصيرتي عند طبيبتها ، جلسنا في قاعة الإنتظار ريثما يصل دورها ، لاحظت إرتباكها و هي تُشابك أصابعها ، و تنظر في زاوية من زوايا الغرفة بشرود ، إنتشلتها من تلك الغفوة بعدما وضعت يدي على يدها الصغيرة و قلت :

- جميلتي ما بكِ ؟ هل أنتِ بخير ؟
- نظرت الي و ابتسمت تلك الإبتسامة المصطنعة و قالت : أنا بخير
- قلت : تبدين متوترة ؟
- صمتت لبرهة و قالت : قليلا .. لا تقلق عزيزي قد سلمت أمري لله

- ضغطت على يديها بلطف و قلت : الله يعلم مدى حبي لكِ ، لذا لا تقلقي هو الآن يرانا
- صمتت ثم نظرت الى خاتم الخطوبة الذي في إصبعها و إصبعي و قالت بحزن : عزيزي أنا خائفة
- قلت : من ماذا أنت خائفة ، هل تقصدين الموت ؟
- قالت : ما الموت أخشى ، بل هو مصير حتمي حتى الذبابة تموت ، لكنني أخاف ...
- قلت : أخبريني صغيرتي ما الذي يخيفك ؟ إفتحي قلبك و الا سأفتحه بنفسي
- سقطت دمعة ساخنة من عيناها و قالت : أخاف أن يأتي يوم و ترتدي إمرأة أخرى خاتمي هذا
- ابتسمت و قلت : لن ترتديه اي فتاة غيرك ، ثم إنه على مقاس إصبعك الصغير
- قالت : تبا كم أنت مراوغ يا طويل ....

بعد لحظات جائت مساعدة الطبيبة تتقدمنا و نادت على صغيرتي ، ايمان حان دورك ، أمسكتها من يدها و قلت : هيا لا تخافي . دلفنا على الطبيبة جلست هي على اليمين و أنا على اليسار

- سلمت صغيرتي على الدكتورة و قالت : هذا خطيبي ، القيت عليها أنا السلام
- ثم قالت الطبيبة : أولا مبروك عليك الحجاب يا آنسة ايمان ، هل قمتِ بكشف IRM ،
- قالت : نعم يا دكتورة هاهو

ثم سحبت صغيرتي من حقيبتها ظرف بريدي كبير ، فتحته الدكتورة و راحت تقرأ بتمعن النسخة القديمة و الجديدة و تلاحظ في الفرق بينهما ، و أنا و صغيرتي ننظر الى بعضنا البعض في صمت رهيب ، كان لساني يردد في كل لحظة : يا رب إجعله خيرا .. و صغيرتي تراقب شفتاي ، نظرت الينا الطبيبة مبتسمة و قالت :

- آنسة ايمان ، اي قوة هذه ؟ اي قدرٍ هذا ، يا الله ما أعظمك ، عجز لساني عن التعبير ، لم أتصادف بحالة مثل حالتكِ من قبل ، أنا لا أصدق ، إنفجرت بدون تردد و قلت :

- ماذا هناك يا دكتورة أخبريني من فضلك

- قالت : كل الخلايا السراطانية ماتت دفعة واحدة ، نظرت الى صغيرتي التي تخذرت أطرافها و راحت عيناها تذرفان شلالات من الدموع ، وقفت من مكاني و نزلت للأرض ساجدا لعظمة الله الذي قال : <من يتق الله يجعل له مخرجا و يرزقه من حيث لايحتسب>.
وقفت الطبيبة و عانقت صغيرتي بقوة و قالت :

- الحمد لله على سلامتكِ يا أميرتي ، قصتك سيتبناها كبار الكتاب ، نظرت اليها صغيرتي
- قالت بثقة : إنه دعاء حبيبي الذي غير قدري ، أمسكت يداي و راحت تقبلهما ، و قالت : الله جعلك سببا في نجاتي بدعائك ، هنيئا لنا يا عزيزي قد استجاب الله دعائنا ...

مرت الأيام و الأشهر جهزت صغيرتي نفسها من أجل الزفاف ، قمت أنا بكراء منزل صغير بالقرب من مقر عملي .. كان حفل زفافنا الأجمل على الأطلاق ، لأننا احتفلنا بهزيمة ذاك الخبيث الذي أراد أن يقطف زهرتي لكن هيهات ، اليس الله قادراً على تغيير الأقدار برمشة عين ... مرت سنة و نصف استقبلنا أول مولود فتاة صغيرة جميلة بجمال الملائكة ، قمنا بتسميتها زهرة نسبة لوالدتها التي كادت تذبل لولا ستر ربي الذي أهداها عمرا جديدا لكي تعيشه مع طويل القامة .

---------- تمت ----------

العبرة

أظن أن الجميع فهم العبرة من هذه القصة ، الحب ، الدعاء ، النية الطيبة ، الثقة في الله ، قصص كثيرة في مجتمعاتنا تغيرت أقدارها بسبب دعاء خارج من القلب ، أكثروا الدعاء يا مسلمين ... دمتم سالمين ، مسلمين ، لله عابدين ، لدينكم حافظين